

# مَنْ هُنَا وَمَنْ هُنَاكَ

آثار مصر القديمة منذ ٦٥٠ سنة

كبير ، لو كان شاخصاً كله لما قصر عن عشرين ذراعاً طوله في غاية مناسبة التخطيط : ! يقال إنه طلسم يمنع الرمل عن الزدراع . . . . »

ويسمى ابن فضل الله سلسلتى جبال العرب وليبيا ( حائط العجوز !! ) « وهو حائط يستدير بالديار المصرية ممتداً على جانب الزدراع بها كأنه جعل حاجزاً بين الرمل والزدراع . . . . » ويقول . . . « إنه من بناء امرأة اسمها دلوك . . . . »

ومع هذا لا يرى ابن فضل الله أن يتورط في ذكر الخرافات التي تقال في سبب بناء دلوك لهذا الحائط فيقول : « ويذكر في تلك الكتب - بسبب بناء العجوز له - خرافة لسنارضى ذكرها !! »

ويسمى المؤلف تمثالى ممنون بالقرب من وادى الملوك ( شامة وطامة !! ) ثم يصف البرابى فيدع إبداعاً تاماً ، وينتقل إلى الاسكندرية فيصف عمود السوارى ، والمثارة ، والملمب الكبير وصفاً يدل على ذوقه الفنى الدقيق !!

## فلوير وهريفة الكرمب

يعتبر جوستاف فلوير ( ١٨٢١ - ١٨٨٠ ) الوارث الأكبر للمدرسة الابتداعية في الأدب الفرنسى عامة ، والوارث لبلاك خاصة ، وإن يكن هو من الكتاب الريالست ، وإن يكن أيضاً يمتاز من بلاك بطلاوة أسلوبه ونقاء عبارته وإشراق ديباجته ، وعدم إسفافه . . . . وهي منرايا لم يكن بلاك يعرف شيئاً منها

ويشبه فلوير في شدة عنايته بأسلوبه شاعرنا الجاهلى زهير ابن أبى سلمى المعروف بصاحب الحوليات . فلقد كان فلوير يأرق الليالى الطوال من أجل لفظة واحدة ؛ حتى إذا فاز بها ، ثم مضى زمن يسير ، رجع لخذفها من مقاله أو من كتابه ، وقد يكون ذلك وقت الطبع ، ومن هنا هذه الموسيقى الحلوة التي اشتهرت بها كتبه لاسمافى ( مدام بوفارى ) و ( سانت أنطونى وسلامبو )

ألف الأديب الرحالة المصرى ابن فضل الله العمري كتابه الموسوعى العظيم ( مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار ) منذ خمسين وستمئة سنة ( هـ ) فى عصر السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، وظل الكتاب محبوباً فى زوايا الاهمال حتى أتيح بعشه على يد فقيه العروبة العامل الأستاذ أحمد زكى باشا سنة ١٩٢٤ ، والكتاب ذخيرة ثمينة حقاً ، وهو لا يقل فى قيمته عن الموسوعات المصرية الثلاث الأخرى ( منبج الأعشى ، ونهاية الأرب ، ولسان العرب ) ولعل أطرف فصل عقده المؤلف فى كتابه ( ١٥ ) هو ذلك الفصل الذى يتكلم فيه عن آثار مصر القديمة ، وما كان الناس يفترضونه من تاريخها ، وما يمللون به تشييد تلك المباني الضخمة والهياكل المتيدة :

وقد وصف ابن فضل الله أهرام الجيزة فقال : « . . . . وهى أشكال لهيبة ، كأن كل هرم لغبة سراج ، آخذة فى أسافلها على التريبع مسلوبة فى عمود الهواء ، آخذة فى الجوحى حتى إلى التلث ، لولا استدارة أبلوج السكر ( قع السكر ! ) لشبهناها به ، ويحتمل أن يكون هذا الشكل موضوعاً لبعض الكواكب لمناسبة اقتضته . . . » وذكر قبل ذلك سبب بنائها قال : « قيل إنها هياكل للكواكب ، وقيل قبور ومستودع مال وكتب ، وقيل ملجأ من الطوفان ، وهو أبعد ما قيل فيها ! » ثم يملل أنها لم تكن ملجأ للطوفان بأنه شاهد بمض الأهرام فى مصر العليا مبتية من اللبن ! وبعد أن يذكر بعض أقوال الشعراء فى صفتها يتقل إلى أبى الهول فيقول : « . . . . وهو اسم لهتم يقارب الهرم الكبير ، وفى هدة منخفضة تقع دونه شرقاً بغرب . لا يبين من فوق سطح الأرض إلا رأس ذلك الصنم وعنقه ، أشبه شىء برأس راهب حبشى ، عليه غفارية ؛ على وجهه صباغ أحمر إلى حوّة ، لم يحل على طول الأزمان وقديم الآباد ، وهو

تخصين أجورهم وتقليل ساعات العمل (وكانت ١٢ ساعة تخفضها إلى عشر ، ثم إلى ثمان ) ، وأنشأ لهم مساكن صحية ، وحرّم العمل على صغار الأطفال (أقل من عشر سنوات) ، وضمن التعليم الابتدائي بالجان لأبنائهم ، وأنشأ لهم مستشفى بجوار المصنع جلب إليه أمر الأطباء وأحدث الآلات الطبية ، ووضع للطاعنين في السن منهم نظاماً يكفل لهم شيخوخة سعيدة

ولم يكف أون باستحداث هذه النظم لرعاية العمال في مصانعه فقط ؛ بل عمل على تميمها في المصانع الأخرى ... ولذلك ناز في وجه أصحاب هذه المصانع ، وكان أكثرهم من اليهود ، ممن لا هم لهم إلا امتصاص دماء الانسانية وصهرها ثم تحويلها إلى ذهب ! ولكن أون العظيم صمد لهم ، وما زال بالشعب وبالعمال والحكومة حتى انتصرت مبادئه ، وأصبح الصامل الانجليزي مدى قرن من الزمان أسد ألف مرة من اخوانه في جميع الآفاق

ولم يكن أذن صاحب مصانع غسب ، بل كان كاتباً وخطيباً مفوهاً ، ولذا كانت خطبه تسحر العمال وينمث فيهم الشعور بالكرامة وتشجيع في أعطافهم الكبرياء

#### البوهنيّة الحديثة New Eugenics

اليوجنيه أو علم تحمين النسل هو علم حديث يرجع إلى سنة ١٨٨٥ فقط ، وموجده هو السير فرنسيس جالتون المتوفى سنة ١٩١١ . وقد أوصى عند موته أن يرصد جزء كبير من دخله لانشاء كرسي لهذا العلم في جامعة لندن ؛ وقد اشتغل السير جالتون كثيراً بعلوم الأحياء قبل أن يلتفت إلى هذا العلم . ومن رأيه قصر التناسل على الفتاة الماقلة القوية ذات الفضائل من الناس لايجاد جيل راق يقود البشرية مرحلة كبيرة إلى السوبرمان ؛ وقد سمي هذه العملية من برنامجها positive eugenics ومن رأيه كذلك حرمان البلهاء والمرضى والمجرمين وأهل الرذائل من التناسل حتى لا يؤخروا موكب الانسانية عن التقدم والرقى ويسمى هذه العملية negative eugenics

وسير جالتون يعني عناية كبيرة بمذهب السلوكيين في السيكولوجية الحديثة ، بل هو قد أخذ من مباحثهم الطريقة نبراساً له في وضع الدعائم لهذا العلم الجديد . ر . غ

وقد بلغ من شدة شغف فلوير بتقرير الواقع في قصصه أنه كان يجشم نفسه المشاق والأهوال ليصف منظرًا عارضًا في زاوية منسية من زوايا هذه القصص . من ذلك أنه أراد وصف مزريعة كرمب في ليلة مقمرة مقرورة . . . فترك القصة بمخاضها ، وانتظر حتى كان موسم الكرمب ، ثم رحل إلى ضاحية اشهرت بنوع جيد من هذا المحصول ، وثمره تلبث حتى آذنت الليالي المقمرة ... ولكن صاحبه البدر طفق بتدال ويتستر وراء السحب القاتمة . . وكان الشتاء القارس يمدّه ببرده ولياليه الطوال ، وكان فلوير ما يبرح واقفًا وسط المزرعة بقلعه وقرطاسه ، منتظرًا إشراقه واحدة من حبيبه القمر ليصف فيها منظر أشمته الفضية على أوراق الكرمب

ونال أمنيته بمد أن نال منه القمر كل أمانيه ! !

#### روبرت أوبه والعمال

تنتقل مصر رويدا رويدا من الطور الزراعي الذي لا يتفق ومدنية هذا العصر إلى الطور الصناعي ... طور المدنية والقوة والسيادة . وقد رأيت إنجلترا مثل هذا الانتقال ، ورأت فيه جملة ثورات اجتماعية كانت الاشتراكية أهمها جميعاً . والاشتراكية تعنى سعادة البشر ومكافحة الفقر ، ومن هنا انضواء عالية المفكرين تحت لوائها وسهرهم على تميمها في كل مناحي الحياة حتى في دور العلم ! ويعتبر روبرت أون (١٧٧١ - ١٨٥٨) خالق الاشتراكية وواضع مبادئها بالعلم والعمل ، بل هو الذي استحدث هذه الكلمة Socialism في النصف الأول من القرن التاسع عشر (١٨٣٥) . ومن العجيب أنه كان من أكبر غزالي القطن في منستر ، وله جملة ابتكارات في صناعة الغزل تعتبر أسساً لتقدمها

وكان أون يحب الاختلاط بالعمال ، ودأب من كسب على دراسة أحوالهم ومعايشهم ، وكان يروعه فقرهم وقذارتهم وعدم قيام رواتبهم الضئيلة بمحو أوجهم ، فنذر ، إذا وانه الحظ ، أن يحدث في حياتهم ثورة تطر بهم إلى السعادة ... وقد حققت الأيام مطالعته فأصبح من أغنياء منستر ، وذكر نذره فأنشأ مصانعه العظيمة في نيولانارك New Lanark على أحدث النظم وعلى أحسن القواعد الصحية ، وكان أهم ما عمله لترقية العمال